الدور الدبلوماسي للكرسي الرسولي في السياسة العالمية
الركائز، المحددات ، الآثار

The Diplomatic role of the Holy See in world politics
Pillars, Determinants, Effects

م.د. صفاء ابراهيم الموسوي
- جامعة المصطفى الأمين- كلية القانون
Dr. Safaa Ibrahim Al- Mousawi :
College of Law, University of Al- Mustafa Al-Ameen
Safa.ibraheem@mau.edu.iq

المستخلص

يعتبر البعد الديني في السياسة الخارجية للفاتيكان متغيرا فعالا يؤثر في العديد من الدول والفواعل الأخرى من غير الدول، وبإعتبار أن البابا هو الأب الروحي لجميع المسيحيين الكاثوليك في العالم، لذا فإنه يحظى بمكانة روحية كبيرة لدى أتباعه، فضلا عن الإحترام الذي تكنه له جميع الدول والشعوب وممثلوا الأديان السماوية الأخرى.

وبذلك تكون دبلوماسية الكرسي الرسولي معادلة حاضرة في كل مراحل ومنعطفات السياسة الأوربية والسياسة الدولية، ولكن مايتبدل هو الدور ومداه من مرحلة الى أخرى، وكذلك العنوان الأساسي لهذا الدور، ومما لاشك فيه أن الدور المحوري للكرسي الرسولي يعد من بين العوامل الأكثر أهمية في مجال السياسة الخارجية ، ومن هنا يمكن ملاحظة الترابط القائم بين طبيعة الفاعلية للكرسي الرسولي في الساحة الدولية وبين الشخصية الكارزمية للبابا ، لذا فإن الدبلوماسية الفاتيكانية لايمكن أن تنفك بحال من الأحوال عن وجود البابا، لكن رصدها يبقى مرتبطا بأهمية الأحداث التي ينخرط بها الفاتيكان والذي يمثل ترجمة حية لهذا الدور الدؤوب الذي يضطلع به الكرسي الرسولي من خلال توظيف القوة الناعمة للتأثير في العديد من القضايا في الساحة العالمية.

Abstract

The religious dimension in the foreign policy of the Vatican is considered an effective variable that affects many countries and other non-state actors, and given that the Pope is the spiritual father of all Catholic Christians in the world, so he enjoys a great spiritual status among his followers, as well as the respect that all countries and peoples have for him and representatives of other monotheistic religions.

Thus, the diplomacy of the Holy See is an equation present in all stages and turning points of European and international politics, but what changes is the role and its extent from one stage to another, as well as the main title of this role, and there is no doubt that the pivotal role of the Holy See is among the most important factors in the field of foreign policy. Hence, it can be observed the interrelationship that exists between the nature of the effectiveness of the Holy See in the international arena and the charismatic personality of the Pope, so the Vatican diplomacy cannot in any way be separated from the presence of the Pope, but its monitoring remains linked to the importance of the events in which the Vatican is involved, which represents a living translation of this role The hard work of the Holy See through the use of soft power to influence many issues in the global arena.

المقدمة:

على الرغم من الأهمية الدينية التي تحظى بها الكنيسة الكاثوليكية كجهة دينية رعوية للملايين من المسيحيين الكاثوليك في مختلف دول العالم، إلا أنها في العلوم الإجتماعية لا زالت عاملا غير مستكشف ولاسيما في العلاقات الدولية ، وحيث أن الكنيسة الكاثوليكية ممثلة بالفاتيكان إنخرطت دائما في السياسة في أشكال مختلفة من التنظيمات السياسية والإجتماعية، إلا أن هذا الدور كان يتسم بالتعقيد النابع من صعوبة التوفيق بين كونها كيانا سياسيا دوليا معترفا به كفاعل سياسي دولي ، وبين كونه مؤسسة عبر وطنية ترعى جميع المؤمنين بالديانة المسيحية في العالم.

ويؤدي الكشف عن هذه الطبيعة المعقدة للفاتيكان الى الإقرار بوجود عدة مستويات للتحليل ، وعدة زوايا نظر للفاتيكان ، وبما يتماشى مع النظريات المختلفة في العلاقات الدولية كالواقعية والليبرالية والبنائية ، ولعل من أبرز هذه المستويات هي:

- على مستوى الفرد الأعضاء والوكلاء
- على مستوى الوحدة المؤسسة البيروقراطية التابعة لها
- على المستوى الدولي الكرسي الرسولي المشارك في النظام الدولي وفي الأمم المتحدة

ومنذ الحادي عشر من أيلول من عام ٢٠٠١ ، كان هناك إهتماما أكاديميا متصاعدا بالموضوعات الخاصة بالجهات الدينية الفاعلة ، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية الفاتيكان والكرسي الرسولي بالتحديد ، لم تنل نصيبها الكافي من هذه الدراسات ، ولاتزال تحتاج الى المزيد من تسليط الضوء على أنشطة هذا الفاعل المهم والتعرف على دوره في السياسة العالمية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في إستجلاء وبيان الدور المؤثر الذي تؤديه الدبلوماسية الدينية للكرسي الرسولي في السياسة العالمية عن طريق توظيف القوة الناعمة المرتكزة على المقام الروحي والجاذبية الدينية والأخلاقية التي يتمتع بها البابا في نفوس الملايين من أتباعه عبر العالم، فضلا عن بيان العلاقة بين الدين والسياسة وكيفية تظافرهما وتكاملهما في أداء الأدوار لحل بعض المشاكل والأزمات المعقدة في العلاقات الدولية.

إشكالية البحث:

تتلخص إشكالية البحث في بيان الكيفية التي تتفاعل فيها الكنيسة والكرسي الرسولي مع العلاقات الدولية، وماهو دورها الفعلي؟ ، وكيف يمارس هذا الدور؟ إذ لايزال الوضع القانوني للفاتيكان حتى بعد معاهدة لاتران والأعتراف الدولي بها كدولة أصغر دولة في العالم ، محل جدل بين فقهاء القانون الدولي في طبيعة هذه الدولة وهيكليتها ومدى صدق عنوان الدولة عليها، وهل هي من الناحية الواقعية دولة أم أقرب الى كونها منظمة عالمية عبر وطنية؟ ، خصوصا مع تنامي الدور الدبلوماسي للكرسي الرسولي في العقود

الأخيرة في حل أو المساعدة في حل الكثير من الإشكاليات المعقدة في السياسة العالمية ، أو مراجعة الأدوار السلبية والأخطاء الجسيمة السابقة أو الحالية للكنيسة أو المنتمين إليها والإعتذار عنها.

ولغرض الإحاطة بموضوع البحث وإشكاليته لابد لنا من الإجابة على الأسئلة البحثية الآتية:

السؤال الأول: ماهو المقصود بدولة الفاتيكان والسلطة البابوية؟

السؤال الثاني: كيف يرتبط الكرسي البابوي بالمجتمع الدولي رسميا؟ وماهي الركائز، المحددات ، الآثار ، لهذا الإرتباط؟

السؤال الثالث: ماهي الإتجاهات المستقبلية لدور الكرسي الرسولي في السياسة العالمية؟

فرضية البحث:

هناك حاجة للنظر للفاتيكان والدور الدبلوماسي للكرسي الرسولي على أنه جزء من المعادلة في السياسة الدولية والعالمية بإعتباره شخص معترف به دوليا ، وتستند الأدوار الدبلوماسية التي يقوم بها الكرسي الرسولي الى المكانة المقدسة التي يحظى بها لدى المؤمنين به عبر العالم ، والإحترام الذي تكنه الدول له كطرف محايد ، وباقي الديانات له كممثل للكنيسة الكاثوليكية في العالم.

منهجية البحث:

إعتمد البحث المنهج الإستقرائي في تتبع وقراءة الأحداث والمواقف للكرسي الرسولي في الساحة العالمية وتحليلها من أجل الوصول الى فهم القواعد الكلية وإثبات صحة الفرضية، فضلا عن الإستعانة ببعض المقتربات البحثية الأخرى كالمقترب التأريخي والتحليلي والوصفي الداعمة للمنهج الأساس للبحث.

المحور الأول
نبذة تاريخية عن دولة الفاتيكان وسلطة البابا

كان البابا حتى عام ١٨٧٠م يجمع بين سلطتين هما: السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، واستنادا للسلطة الأولى يعتبر رئيسا للكنيسة الكاثوليكية ، وبموجب الثانية كان يعتبر رئيسا لدولة مستقلة لها إقليم وسيادة وشعب ، واستمر الحال على ذلك الى أن قامت الجيوش الإيطالية بغزو إقليم الدولة البابوية عام ١٨٧٠م واحتلت عاصمتها روما ، حيث أصدرت الحكومة الإيطالية مرسوما بعد ذلك بضم روما للمملكة الإيطالية الجديدة والذي أيده غالبية الإيطاليين بعد ذلك عبر إستفتاء أجري في نفس العام ، وأصبحت روما لاحقا عاصمة لإيطاليا(١).

وعلى الرغم من زوال الدولة البابوية من الوجود إلا أن البابا استمر كما كان في الماضي يمارس التمثيل الدبلوماسي وعقد المعاهدات ذات الصفة الدينية ، ومن جانبها فقد أبقت الحكومة الإيطاليةعلى البابا كرئيس للكنيسة الكاثوليكية على الرغم من نزع السلطة الزمنية منه كرئيس دولة ، وتم تحديد وضع البابا الجديد بموجب قانون الضمانات(٢) التي أصدرته الحكومة الإيطالية في عام ١٨٧١م ، وقد إنقسمت الدول بعد صدور هذا القانون الى فئتين ، الأولى: مثلته غالبية الدول حيث إعتبرت البابا من أشخاص القانون العام وله بموجب هذه الصفة حق تبادل التمثيل الدبلوماسي وعقد المعاهدات الدينية ، اما الفئة الثانية: فلم تعترف به ولم تقم علاقات رسمية معه مثل فرنسا التي كانت تعتبر الشؤون الدينية من الشؤون الداخلية ، وكانت تمنع رفع العلم البابوي في الأعياد الدينية من عام ١٩٠٥ ولغاية عام ١٩٢٠م(٣).

وبعد صدور قانون الضمانات أصبحت العلاقة بين البابا والدولة الإيطالية ليست على مايرام وسادها البرود والجفاء ، وعند وصول موسيليني الى السلطة في ١٩٢٢/١٠/٣٠ قرر إنهاء هذا الوضع عن طريق فتح باب المفاوضات مع البابا إستشعارا منه لمكانته ونفوذه الروحي ، وتم الإتفاق على عقد عدد من الإتفاقات بين الطرفين سميت معاهدة لاتران الموقعة عام ١٩٢٩م* ، ولاتزال هذه المعاهدة نافذة وسارية المفعول ونص عليها في المادة السابعة من الدستور الإيطالي لعام ١٩٤٧م(٤).

(١) عصام العطية، القانون الدولي العام، ط٢، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١٢.

(٢) قانون الضمانات هو عبارة عن قانون داخلي صادر من جهة واحدة هي إيطاليا ويقوم بتنظيم العلاقة بينها وبين البابا ، كما ينظم العلاقة بين البابا والدول الأجنبية.

(٣) محمد طه بدوي وآخرون، النظم السياسية والسياسات والعلاقات الخارجية الدولية، دار التعليم الجامعي، الأسكندرية، ٢٠١٣.

(٤) بعد التصديق على معاهدة لاتران أصدر البابا مرسوما بابويا شمل مجموعة من القوانين التي تنظم الحكم في المدينة ، وأبرزها:
قانون أساس لمدينة الفاتيكان من أجل تحديد شكلها والمؤسسات العامة فيها.
مصادر القوانين التي تنظم العلاقة بين ايطاليا والفاتيكان.
قانون خاص بالهيئات الإدارية.
قوانين التقاضي وتحديد إختصاصات المحاكم.
حق مدينة الفاتيكان في منح صفة المواطن ومنح حق الإقامة.=

ومن منظور العلاقات الدولية ، يعتبر الفاتيكان كيان فريد من نوعه* ، حيث يسمح له بالتمتع ببعض إمتيازات الدولة التي تنسجم مع عملها كالحصانات والتأثير دون أن يرافق تلك الإمتيازات الإلتزامات التي تكون للدول ، وفي حالة الفاتيكان من المهم التمييز من الناحية القانونية بين مجمع الفاتيكان و الكرسي الرسولي حيث توجد مسؤوليات لكل جهاز منها إدارية وأخرى لاهوتية ، وللبابا الكلمة الفصل في تقرير العلاقة الهرمية بين الكرسي الرسولي وحكومة الفاتيكان بإعتباره رئيس حكومة الفاتيكان ورئيس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ويمتلك السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بصورة كاملة إستنادا الى دستور الفاتيكان لعام ٢٠٠٠ م(٥).

وقد إختلف فقهاء القانون الدولي وثار الجدل فيما بينهم حول المكانة الدولية للكيان البابوي ، فقد إعتبر قسم منهم لاسا أوبنهايم أن للكرسي الرسولي مكانة شبه دولية والتي يحق له بموجبها أن يعامل كما لو كان شخصية دولية ، في حين يرى قسم آخر منهم جوزيف كونز أن الكرسي الرسولي رغم أنه لم يكن دولة أبدا ، إلا أنه إحتفظ دائما بشخصية قانونية دولية ، وبالنسبة لكونز فإن مدينة الفاتيكان مميزة كشخص دولي عن الكرسي الرسولي وهي دولة ولكنها ليست ذات سيادة وإنما دولة تابعة للكرسي الرسولي(٦).

=القوانين المتعلقة بالأمن وإختصاصات بوليس المدينة.

وتتضمن معاهدة لاتران من ٢٧ مادة ، وتنص المادة الرابعة على إنشاء مدينة الفاتيكان وإخضاعها لسلطة الكرسي البابوى وحده دون أن يكون للدولة الإيطالية أي حق للتدخل بشؤونها.

عصام العطية، م س ذ، ص٢٩٢.

* تبلغ مساحة دولة الفاتيكان ٤٤ هكتارا، وعدد سكانها الأساسيين حوالي ٨٠٠ نسمة فقط، منهم حوالي ٥٢٠ يتمتعون بالجنسية الفاتيكانية والباقون لهم حق الإقامة، ولايقيم في مدينة الفاتيكان نفسها إلا البابا وبعض الكرادلة الذي يقتضي العمل ضرورة تواجدهم ، واللغة الرسمية هي اللاتينية ثم الإيطالية، وللفاتيكان جوازات سفر خاصة تمنح للكرادلة وكبار الموظفين ممن يقومون بمهام رسمية ، ولها قواتها الخاصة. للمزيد ينظر: نور حافظ هريدي، ٢٠ حقيقة غريبة عن دولة الفاتيكان، متاح على الرابط: **https://almalnews.com accessed 2022/5/20**

(5) John R. Morss, The international legal status of the Vatican? Holy See complex, European journal of international law, volume 26, nov.2015.

(6) Ibid, P5.

المحور الثاني
الإرتباط الرسمي بين الكرسي البابوي والمجتمع الدولي
الركائز، المحددات ، الآثار

للفاتيكان في علاقاته مع الدول دوران مهمان، الأول: هو العلاقة الرسمية بين الكرسي الرسولي والحكومات الرسمية ، والثاني: هي العلاقة بين الكرسي الرسولي والتسلسل الهرمي الكاثوليكي في تلك الدول وهو ما وفر للبابا بناء على مكانته الموثوقة سبيلا آخر للمشاركة في الشؤون العالمية ، وفي مقارنته بين الفاتيكان والدول العلمانية، أكد البابا «بولس السادس» في عام ١٩٧٠ على أن العلاقات التي تنشأ ليست هي علاقة دولة بدولة ، وإنما علاقة بين الدول والكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وبالتالي فإن الدول المدنية تقيم علاقتها مع الكرسي الرسولي نفسه وليس مع الفاتيكان(٧).

لذا فمن الناحية القانونية هناك كيانان متمايزان داخل جسد الكنيسة هما: دولة الفاتيكان والكرسي الرسولي، ويعمل الأخير فقط في العلاقات الدولية مثل الدخول في المعاهدات أو المشاركة في المنظمات الدولية وغير ذلك ، وبذلك فإن البابا يتولى رئاسة دولة الفاتيكان ورئاسة الكرسي الرسولي في وقت واحد ، حيث يوفر الفاتيكان القاعدة المادية والهيكل الإداري وما الى ذلك للكنيسة(٨).

وفي الوقت الذي يمارس فيه الكرسي الرسولي نشاطه عبر الفاتيكان في الشؤون الدولية، فإن «الكنيسة» تعمل في نفس الوقت كهيئة دينية عالمية ، فهي بهذا اللحاظ «تعمل كشبكة عالمية للسلطات القضائية الإقليمية – الأبرشيات – التي تلبي الإحتياجات الروحية والمادية لما يقرب من ١,٢ مليار كاثوليكي في العالم»، ومثل هذه الأنشطة والمهام الدينية مثل تعيين الأساقفة في جميع أنحاء العالم سيكون له بالتأكيد تبعات خارجية، وغالبا ما تظهر الكنيسة بناء على هذه الهيكلية سلوكا تقدميا في الأمور السياسية الخارجية، وسلوكا محافظا في الأمور الدينية والسياسية الداخلية(٩).

ولمعرفة كيف تتعامل الكنيسة في السياسة الدولية ، وما هو دورها الفعلي، وكيف يمارس هذا الدور؟، فإننا يمكن تبين ذلك من الحوار الذي جرى بين وزير الخارجية الفرنسي «بيير لافال» وستالين عندما سأل الوزير الفرنسي عن أوضاع الكاثوليك في الإتحاد السوفيتي ، فأجابه ستالين متهكما: «كم فرقة عسكرية يملك البابا؟» ، في إشارة الى أن القوة العسكرية هي الأساس في الإعتبار كما كان معروفا في ذلك الوقت ، وقد علق «تشرشل» لاحقا على ذلك بالقول: «لم يتم إبلاغ إجابة «لافال» لي، لكن ربما ذكر عددا من الجحافل التي لم تكن مرئية دائما في موكب، حيث أن تشرشل كان يدرك

(7) Timothy A. Byrnes, Sovereignty, Supranationalism, and soft power: The Holy See in international relations, The Review of faith & international affairs, volume 15, issue 4, Popes on the rise: the modern papacy in world affairs, 2017.
(8) Jodok Troy, The Catholic Church and international relation, Oxford handbooks online, 2016.
(9) Robert John Araujo, The Nature and Role of the Catholic Church and the Holy See in the international Order, https://www.e-ir.info/2013.

أن هناك أشكالا أخرى للسلطة والتي سميت فيما بعد «بالقوة الناعمة» ، وأنها قادرة على جعل الآخرين يقومون بما تريد(١٠).

غير أن مقاربة القوة الناعمة للفاتيكان تصطدم بتداخل العاملان الديني والسياسي على نحو يجعل من الصعب الفصل بينهما ، فضلا عن إختلاف شكل الحراك السياسي للكرسي الرسولي مقارنة بمثيله في الدول «المدنية» المؤثرة في السياسة الدولية ، وكما يرى بعض المختصين: «ان الدولة البابوية معادلة حاضرة في كل مراحل ومنعطفات السياسة الأوربية والسياسة الدولية، ولكن ما يتبدل هو الدور ومداه من مرحلة الى أخرى»(١١).

وفيما يتعلق بدبلوماسية الكرسي الرسولي فقد تم تنظيمها بموجب إتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١ ، حيث يعتبر من الأدوار البارزة للكنيسة في السياسة الدولية مايسمى بجهود المسار الثاني للدبلوماسية ، والتي يشار لها غالبا «بالدبلوماسية القائمة على الإيمان»، وتمتد هذه المبادرات من مشاركة المجتمع المدني الى المجال العام ، الى المبادرات الدبلوماسية الحكومية الرسمية، ويشمل قطاع واسع من هذه الأنشطة جهود أناس أو أشخاص عاديين، لكنه يحظى بدعم رجال الدين الكاثوليك، وبالتالي المشاركة الرسمية للكنيسة، إنها مشاركة من القاعدة الى القمة، في حين بالمقابل تكون المبادرات الدبلوماسية الحكومية الرسمية بحكم تعريفها هي مبادرات من أعلى الى الأسفل، وبالتالي فإن كلا النهجين قد عملا وبشكل فاعل في تنفيس العديد من الأزمات الشائكة، وساهما في بناء وتوطيد السلام في أماكن عديدة من العالم ، ولعل أبرزها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية من القرن الماضي والى اليوم ما يأتي(١٢):

١. المساهمة في حل سلمي لأزمة الصواريخ الكوبية.
٢. دعم حركة التحول الديمقراطي في بولندا حركة solidarnosc.
٣. دعم ثورة الشعب الفلبيني والتي أسفرت عن الإطاحة بالديكتاتور «فرديناند ماركوس».
٤. حل النزاع بين الأرجنتين وشيلي على قناة بيغل عبر وساطة البابا.
٥. جهود المصالحة في الديمقراطيات الجديدة أو البلدان التي تمر بمرحلة إنتقالية مثل جنوب أفريقيا وغيرها.
٦. العمل الميداني لبناء السلام خلال الحرب الأهلية في موزمبيق وأماكن أخرى.

وهناك مجال آخر تعد فيها المشاركة الدبلوماسية للكرسي مهمة وضرورية، ألا وهي المشاركة في الهيئات الدولية مثل الأمم المتحدة والإتحاد الأوربي، حيث تندمج فيه التحليلات المعيارية والواقعية للسياسة الخارجية من جهة ، والمعيار اللاهوتي أو العقائدي من جهة أخرى، وبالتالي فإن إنخراط الكنيسة في السياسات الحزبية الأوربية وغيرها من الدول الكاثوليكية لم يكن مفاجئا ، فضلا عن أن إهتمام الكرسي الرسولي بالأمم المتحدة

(10) Jodok Troy, Ibid, P15.

(١١) وسام سعادة و موريس قديح، الفاتيكان: عودة القوة الناعمة، متاح على الرابط: https://www.trtarabi.com

(12) Robert John Araujo, The Nature and Role of the Catholic Church and the Holy See in the international Order, https://www.e-ir.info/2013.

منذ إنشائها ، وإدراك الأمم المتحدة بالمقابل بأهمية الكرسي الرسولي ، قد دعا الأمين العام آنذاك «يوثانت» الى دعوة الكرسي الرسولي رسميا لإرسال مراقب دائم الى الأمم المتحدة(١٣).

وتأتي الرغبة القوية في كينونة الفاتيكان كعضو فاعل في المنظمات الدولية الى تطلعها للعب أدوار أكبرفي الساحة العالمية في وقت باتت فيه قدرات الدول عاجزة أحيانا عن وضع حلول ناجعة للعديد من التحديات والأزمات التي ظهرت في العقود الأخيرة، فالبابا لايعتمد فقط على مبادئ القانون الدولي عند الحديث عن الحرب والسلام في العالم، وإنما يرتكز بشكل أساسي الى النصوص الدينية حول مدى عدالة أي حرب دائرة من وجهة نظره ، وكان آخر مرة دعا فيها البابا الى حرب مقدسة هي «حرب ليبانت» في القرن السادس عشر بين تحالف الدول الأوربية والدولة العثمانية ، لمواجهة قوة العثمانيين المتنامية آنذاك(١٤).

أولا: ركائز دبلوماسية الكرسي الرسولي:

مع إستقراء الأدوار المتنوعة والزيارات الكثيرة التي قام بها البابا الى العديد من دول العالم، ربما يثار سؤال عن الركائز والأسس التي تستند إليها دبلوماسية البابا؟ وطبيعة المحددات لقوتها وفاعليتها؟ ، خصوصا إذا تذكرنا مقولة «بسمارك»: «إن الدبلوماسية بدون سلاح هي مثل الموسيقى بدون آلات عزف» ، أي أن الدبلوماسية لكي تعمل بصورة فاعلة لابد من قوة مسلحة تقف خلفها لكي تكون مؤثرة في قضايا الحرب والسلام، وفضلا عن ذلك فهناك تحد أكبر في القرن الحادي والعشرين ألا وهو: كيف يمكن تقديم القراءة الصحيحة للتعاليم الدينية بأنها وسيلة لنشر المحبة والسلام، وليس كما تقدمها الحركات الإرهابية بأنها وسيلة للعنف والكراهية؟ ، والجواب على ذلك يتضح من خلال سلوك الكرسي الرسولي بإعتماده الدبلوماسية الدينية المستندة الى السلطة المعنوية والروحية والإحترام التي تحظى به في جميع الدول، والى وجود أكثر من مليار مؤمن بتعاليمها عبر العالم ، كما تعتمد دولة الفاتيكان التي تعتبر الدولة الأصغر على مستوى العالم ، على شبكة ضخمة من المراسلين عالميا بفضل نشاط رجال الدين والسفراء الذي يبلغ عددهم ١٨٣ حول العالم، مما يعطي لهذه السلطة القدرة على التصرف بشكل سريع وميداني(١٥).

وفي الوقت الذي يقر فيه المختصون مثل: ديكاس مؤلف معجم الفاتيكان ، بأن دبلوماسية الفاتيكان لاتتمتع بكل الأسلحة اللازمة للعب دور فاعل على المستوى العالمي، لكنها تحوز على قوة معنوية كبيرة تمكنها من القيام بهذا الدور، وقال ديكاس: «لقد مرت عصور كانت فيها سلطة البابا تضاهي سلطة الملوك، ولكن منذ فترة ، إقتنعت الكنيسة بالإقتصار على دور معنوي، ولكن تحركاتها الدبلوماسية تحظى بقدر كبير من التقدير لسببين أساسيين هما: أنها على إطلاع جيد بكل قضايا العالم ، وأنها تعتبر محايدة الى

(13) Jodok Troy, Op.cit.

(١٤) أنطوني سمراني، أي دور للفاتيكان في السياسة العالمية؟ ، متاح على الرابط:
http://www.noonpost.com/author/6803,2015

(١٥) الأب رفيق جريش، دبلوماسية الفاتيكان، متاح على الرابط: http://www.almasryalyoum.com

حد كبير، لذا يمكن للكنيسة أن تلعب دور الحكم في العديد من الأزمات الدولية» [١٦].

ثانيا: المحددات:

مع تصاعد دور الكرسي الرسولي في الساحة العالمية خلال العقود الأخيرة بحيث أصبح نموذجا للقوة الناعمة التي تحقق أهدافها عبر التأثير الروحي والحوار والإقناع، فقد إرتبط هذا الدور بعدد من المحددات المهمة المتمثلة بالآتي[١٧]:

إعادة صياغة السياسة الخارجية للفاتيكان: ساهم الكرسي الرسولي بشكل كبير خلال العقود الخمسة الأخيرة على إعادة صياغة السياسة الخارجية للفاتيكان في النظام العالمي، مما ساعد على ترسيخ مفهوم «أن الكنيسة يمكن أن تسهم في جعل العالم أكثر إنسانية» ، وقد كانت للمواقف ومساعي الوساطة في أكثر من قضية دولية شائكة خير دليل على ذلك، وقد إرتكز هذا التوجه للكرسي الرسولي على أربعة مبادئ أساسية هي: حماية إستقلال الكنيسة، وإحترام كرامة الإنسان، والمشاركة الدينية عبر التصالح مع العديد من دول العالم، فضلا عن الإهتمام بالعدالة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، مع التركيز على أهمية أداء المهام الدينية بعيدا عن السياسة، أو تفسير الدين على أساس سياسي ، ومن هنا فقد وصفت الكثير من الأدبيات السياسية المعاصرة البابا بأنه فاعل جيوبوليتيكي مهم في السياسة العالمية.

الإنفتاح الخارجي: تبنى الكرسي الرسولي سياسة الإنفتاح الخارجي على كافة الأديان والقوى المؤثرة في العالم، متجاوزا بذلك الكثير من الخلافات والتراكمات التأريخية السابقة، وساعيا الى إيجاد حلول لكثير من المآسي والآلام التي تعاني منها البشرية، ولعل زيارة البابا «فرنسيس» الى العراق ولقائه المرجع الأعلى السيد علي السيستاني في حزيران ٢٠٢١ خير دليل على هذا التوجه، وكذلك ما قام به سابقا في شباط ٢٠١٩ من توقيع لوثيقة الأخوة الإنسانية مع شيخ الأزهر في ختام منتدى حوار الأديان في الأمارات، حيث تشير هذه المبادرات المهمة الى رغبة البابا في صوغ مواقف متقاربة مع الدين الإسلامي الحنيف إزاء العديد من القضايا الهامة للإنسانية. وبالنسبة للدول، فقد سعى الكرسي الرسولي الى فتح صفحة جديدة مع الصين، والتي كانت العلاقة معها تشوبها الكثير من الخلافات بسبب الحقبة الشيوعية التي رفضت ان تكون هناك علاقة بين الكنيسة المحلية في الصين والفاتيكان بعد قطع العلاقة بين الدولتين، ووهكذا فقد بقيت الكنيسة خاضعة لسيطرة الحزب الشيوعي الصيني ، وبعد عودة العلاقة بين الجانبينتم التوقيع على إتفاق عام ٢٠١٨، يمكن بموجبه للفاتيكان أن يدلي برأيه في تعيين الأساقفة، ويمنح البابا الحق في رفض المرشحين الذين لا يحظون بموافقته، وقد وصف الفاتيكان هذا الإتفاق بأنه إتفاق «رعوي» وليس «سياسيا» ، ولكن كما هو معلوم فإن ترطيب الأجواء بين البلدين يمهد مستقبلا بشكل أو بآخر لعودة العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين.

إعادة بناء الصورة: أدرك الكرسي الرسولي أنه من الأهمية بمكان إعادة بناء صورة الكنيسة في أذهان العالم، وأنه لا مناص من الإعتذار عن الأدوار السلبية التي

(١٦) انطوني سمراني، م س ذ.

(١٧) محمد بوبوش، القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة، المعهد العربي للدراسات، اسطنبول، ٢٠١٩.

أدتها الكنيسة في مراحل معينة من تأريخها، لذا فقد إعتذر البابا «يوحنا بولس الثاني» في قداس أقيم في عام ٢٠٠٠ عن العنف الذي إرتكبته الكنيسة في الماضي، وأعلن يوم الثاني عشر من اذار عام ٢٠٠٠ يوم للإعتذار وطلب الصفحمن كل أولئك اللذين تضرروا من المواقف المسيئة التي تعرضوا لها من بعض الكنائس أو التابعين لها بشكل متعمد أو غير متعمد[١٨] وكرر البابا «فرانسيس» الإعتذار وطلب المغفرة عن الخطايا الجسيمة التي أرتكبتها الكنيسة الكاثوليكية لخدمة الإستعمار، وهذا يشير الى موقف شجاع ومسؤول من الكنيسة في إعادة تقييم مواقفها السابقة والإعتراف بالأخطاء والمواقف التي أرتكبت عن قصد أو بدونه ، مما يزيد من إحترام الرأي العام العالمي لها في أداء أدوارها المستقبلية.

أدوار بناءة في حل قضايا دولية شائكة: وظف الكرسي البابوي جميع المعطيات السابقة للقيام بأدوار بناءة في حلحلة الكثير من الصراعات والقضايا الشائكة في العالم، فالمكانة الفريدة التي يحتلها البابا في نفوس جميع الأطراف الدولية ، والثقة بحياديته ومصداقيته، جعلته طرفا مؤهلا لأداء دور الوسيط في الكثير من هذه القضايا والصراعات التي أستمر بعضها لعقود من الزمن ، فضلا عن التحديات العالمية التي برزت في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين ، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك[١٩] :

الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي: يحتفظ الفاتيكان بعلاقات دبلوماسية مع كل من السلطة الفلسطينية واسرائيل، ويتخذ موقف التدويل بالنسبة لمدينة القدس ، رافضا الإعتراف بها كعاصمة «لإسرائيل» ، فضلا عن تأكيده على حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم ضمن إطار حل الدولتين، وهو ماأكده البابا في حزيران ٢٠١٥ عند التوقيع على إتفاقية مع السلطة الفلسطينية ، والتي عدت كإعتراف ضمني بها كدولة.

أدى الفاتيكان دورا مهما في إنفتاح الولايات المتحدة على كوبا، حيث أبدى البابا «فرانسيس» رغبته لكل من الرئيسين «باراك أوباما» عند زيارته للفاتيكان في اذار ٢٠١٤ و «راؤول كاسترو» بتطبيع العلاقة بين البلدين وإنهاء حالة القطيعة التي إستمرت لأكثر من خمسة عقود بينهما ، حيث أثمرت هذه الجهود عن عودة العلاقات رسميا بينهما برعاية البابا.

قام الفاتيكان بالتوسط لحل العديد من الصراعات في أميركا اللاتينية، ولعل من أبرزها: الصراع بين الأرجنتين وشيلي خلال عقدي السبعينيان والثمانينيات من القرن الماضي على حقوق السيدة في قناة بيغل، حيث نجحت الوساطة في توقيع البلدين على إتفاقية ثنائية في عام ١٩٨٤ في الفاتيكان تنهي بموجبها النزاع بين البلدين. وكذلك، الوساطة التي قام بها الفاتيكان لحل الأزمة الفنزويلية عام ٢٠١٦ والتي نشبت بين المعارضة والرئيس «نيكولاس مادورو» بسبب الأوضاع الإقتصادية السيئة ، والفساد المستشري في الإدارة الحكومية، فكانت وساطة الكرسي الرسولي عاملا مهما في تقريب

(١٨) للمزيد ينظر: علاء عبد الرزاق مطلك، العلاقات بين الفاتيكان و «اسرائيل» خلال عهد البابا يوحنا بولس الثاني ١٩٧٨–٢٠٠٥، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية/جامعة بغداد، العدد السابع، ٢٠٠٨، ص١١٤.

(١٩) محمد بوبوش، القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة، م س ذ ، وكذلك ينظر للفقرتين ث، ح ، **Timothy A. Byrnes, Op.cit.**

وجهات النظر وتشجيع الحوار بين الطرفين للخروج من الأزمة.

أدوار سياسية معقدة لعبها البابا في قضايا سياسية معقدة، مثل: دوره في استقلال بولندا، ودوره في إطلاق سراح الرهائن البريطانيين لدى ايران ، وكذلك دور البابا في استقلال كرواتيا وصربيا ، وجهوده في حل الأزمة الإنسانية في سوريا من خلال دعوته لإنشاء تحالف أوربي – روسي – تركي لمساعدة الشعب السوري ، هذا ويمكن القول من خلال كل ما تقدم أن الكرسي عمل كمنتدى للوساطة في جميع القضايا والصراعات التي قبل اطرافها بمثل هذه الوساطة.

رفض الكرسي الرسولي الغزو الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣، حيث أكد البابا حينها أن هذا الغزو هو «إعتداء على الأرواح والممتلكات لبلد مستقل» ، رافضا إستخدام القوة كأسلوب لحل النزاعات الدولية.

وبالنسبة للتحديات العالمية التي برزت في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين، كان للكرسي الرسولي موقفا واضحا وصريحا من العديد من هذه التحديات ، كالإرهاب الدولي والحركات التكفيرية حيث دعا البابا الى تدخل أممي لغرض التصدي لتنظيم داعش لأنه تنظيم شرير يهدد الإنسانية جمعاء، وتحدي التغير المناخي ، وقضايا اللاجئين، وتعريف الزواج ، وغيرها من التحديات.

ثالثا: الآثار

يرى قسم من المختصين «أن الدولة البابوية معادلة حاضرة في كل مراحل ومنعطفات السياسة الأوربية والسياسة الدولية ، ولكن مايتبدل هو الدور ومداه من مرحلة الى أخرى، وكذلك العنوان الأساسي لهذا الدور» موريس قديح، الفاتيكان: عودة القوة الناعمة، ٢٠١٩ ، ومما لاشك فيه أن الدور المحوري للكرسي الرسولي يعد من بين العوامل الأكثر أهمية في مجال السياسة الخارجية ، ومن هنا يمكن ملاحظة الترابط القائم بين طبيعة الفاعلية للكرسي الرسولي في الساحة الدولية ، وبين الشخصية الكارزمية للبابا ، لذا فإن «الدبلوماسية الفاتيكانية لم تتوقف يوما، لكن رصدها يبقى مرتبطا بأهمية الأحداث التي ينخرط بها الفاتيكان، وما يطفو على السطح من الدبلوماسية الفاتيكانية الصامتة يمثل عملها في الكثير من المناطق حول العالم»[٢٠].

ومن هذا المنطلق، قد يذهب بعض المختصين في العلاقات الدولية الى أن الدبلوماسية الفاتيكانية قد تزاحم أحيانا الدول الكبرى في مناطق حساسة من العالم تعتبر ميدانا لصراعات حادة على النفوذ ، لاسيما بين الولايات المتحدة وروسيا في أوربا الشرقية سابقا ، وفي الشرق الأوسط واميركا اللاتينية حاليا ، وذلك بالنظر للقوة الناعمة التي يوظفها الكرسي الرسولي مقارنة بالقوة الخشنة التي تمتلكها القوى الكبرى، لذا تسعى دبلوماسية البابا الى مد جسور التواصل والتزام الحوار بين جميع الدول والفواعل الدولية والإقليمية وتقريب وجهات النظر بهدف الوصول الى أفضل الحلول وبأقل الخسائر ، فمن خلال المكانة التي يحظى بها البابا في العالم ، ولطبيعة الدور الحيادي الذي يتصف به

(٢٠) وسام سعادة وموريس قديح، م س ذ.

، فإنه يستطيع التحدث مع أي رئيس أو قائد في العالم بكل ندية ، ولكن بأجندة تختلف عن أجندة رجال السياسة ، فهو رجل يحمل رسالة دينية ومبادئ أخلاقية تؤكد على العدل والمساواة واحترام الإنسانية بعيدا عن أي مصلحة شخصية أو سياسية، مع الإشارة الى أن هذا التدخل مرتبط بدعوة أحد أطراف النزاع إستنادا الى النصوص الواردة في معاهدة لاتران[٢١].

(٢١) عصام العطية، م س ذ. وكذلك ينظر: ولاء علي، دبلوماسية الفاتيكان: سياسية أم دينية؟، معهد ابراهيم ابو لغد للدراسات الدولية، بيرزيت ، فلسطين، ٢٠٢٠.

المحور الثالث
الإتجاهات المستقبلية لدور الكرسي الرسولي في السياسة العالمية

تمثل الأدوار التي قام بها الكرسي الرسولي خلال القرنين الماضيين الحل الأمثل لكثير من المشاكل والأزمات التي نشبت في مناطق مختلفة من الساحة العالمية، فعلى سبيل المثال كان الدور الذي مارسه البابا «يوحنا بولس الثاني» على الصعيد العالمي مهما ومؤثرا في تجنب العنف والدعوة الى السلام، فدوره كوسيط في النزاع الحدودي بين الأرجنتين وشيلي، وكذلك في التقريب بين الفرقاء السياسيين في الأزمة اللبنانية، وكذلك في البلقان، ودوره في حرب الخليج الأولى بين ايران والعراق، وسعيه مع قادة التحالف الدولي عشية حرب الخليج الثانية في منع نشوب الحرب، وغيرها من الأحداث ، فإنها تبرز الدور المهم والفاعل للكرسي الرسولي في مسيرة الأحداث والسعي لحل الأزمات والحيلولة دون تفاقمها(٢٢).

إن أي نظرة مستقبلية لدور الكرسي الرسولي وللفاتيكان في السياسة العالمية يجب أن تأخذ في الإعتبار المتغير الأكثر أهمية بعد شخصية البابا ألا وهو الكوريا Curia ، حيث يقدم المجتمع البابوي الملأ البابوي للمناصب القيادية الكنسية تقييما متوسط المدى لتوجه الكنيسة من الناحية اللاهوتية والسياسية، وعلى كافة التقديرات فإن هناك تحولا كبيرا لأدوار الكرسي الرسولي منذ النصف الثاني من القرن الماضي، حيث إنتقلت من الصمت التام أو الدبلوماسية السرية، الى أدوار أكثر علنية في حل أزمات عديدة وشائكة وكما أشار لها البحث، وقد تعزز هذا الدور بشكل أكبر في العقود الأخيرة ، ومن أبرزها: مشاركة دبلوماسيين يمثلون الكرسي الرسولي في مؤتمر جنيف لعام ٢٠١٣ حول سوريا ، وكذلك دعوة البابا «فرانسيس» الى حوار أعمق مع الإسلام والتي من ثمارها زيارة البابا الى المرجع الشيعي الأعلى في النجف الأشرف في العراق ، وتوقيعه لوثيقة الأخوة الأنسانية مع شيخ الأزهر، فضلا عن دعوته قادة الكنيسة الى تجديد الخطاب الدبلوماسي مع الدول التي ليس لها علاقات دبلوماسية مع الكرسي الرسولي. ومن هنا فإن التدخل البابوي ينظر الى نفسه كعنصر تعويض وموازنة في السياسة الدولية، وهو يعتبر نفسه بانيا للجسور، وبذا يكون شأنه شأن القيادة التنفيذية في المنظمات الدولية، حيث يكون قادرا دوما على جذب الأتباع وحشدهم ، وهذا بالتالي ضروري لأي تغيير مؤسسي مستقبلا(٢٣).

ولابد هنا من الرجوع الى الأحداث التأريخية ، حيث تفصح هذه الأحداث عن أن «نابليون» كان أقرب من «ستالين» الى فهم تأثير الكنيسة في السياسة الدولية، فقد طلب من مبعوثه الى روما «التعامل مع البابا كما لو كان تحت إمرته ٢٠٠ ألف رجل» ، كما أن توصيف «هوبز» للبابوية كان دقيقا حيث وصفها: «البابا ليست سوى شبح

(٢٢) للمزيد ينظر: علاء عبد الرزاق مطلك، العلاقات بين الفاتيكان و «اسرائيل» خلال عهد البابا يوحنا بولس الثاني ١٩٧٨-٢٠٠٥، م س ذ ، ص١١٤.

(23) Jodok Troy, Op.cit.

الإمبراطورية الرومانية المتوفاة، جالسا متوجا على قبرها» ، وعلى الرغم من هذا التشبيه ، إلا أن تأريخ الكنيسة ومشاركتها في السياسة الدولية، مع حاجة العلاقات الدولية لهذا الدور، يجعل منها عنصرا لاغنى عنه في العديد من المواقف والأزمات والتحديات التي يمر بها العالم اليوم(٢٤).

ومن هنا فإن الكرسي الرسولي ومن خلال قيادته الأخلاقية يؤكد على العديد من المبادئ الدبلوماسية الرئيسية، مثل الحفاظ على السلام العالمي، وحماية حياة الإنسان وحريته الدينية ومحاربة الفقر والجوع، ويؤكد أن هذه المبادئ ترتبط إرتباطا وثيقا بالتعاليم الأخلاقية والإجتماعية للكنيسة الكاثوليكية ، والتي تتجذر بعمق في في القانون الطبيعي(٢٥).

وقد أدرك الكرسي الرسولي وبشكل جلي خلال العقود الأخيرة، أنه لاسبيل لتجاوز أزمات العالم المعقدة إلا بمزيد من التركيز على السلطة الأخلاقية والإسترشاد بعقيدة الرحمة والتسامح التي تتبنى التفسير الواسع للرحمة الممتد الى ما هو أبعد من المحيط المسيحي الكاثوليكي لينفتح على باقي الديانات والمعتقدات الأخرى في العالم، وهو ما يمثل الإطار المفاهيمي لممارسة الكرسي الرسولي لقوته الناعمة لتحقيق المصالح والأهداف التي يرمي إليها(٢٦).

وفي الحرب الدائرة حاليا بين روسيا واوكرانيا على سبيل المثال، أعرب البابا عن إستعداده للقاء الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» وزيارة كل من روسيا واوكرانيا لوقف الحرب الدائرة منذ ٢٤ شبط الماضي، وقال البابا: «نواصل الدعاء من أجل السلام في أوكرانيا وفي جميع أنحاء العالم»، داعيا «رؤساء الدول والمنظمات الدولية الى الرد على الميل الى تأجيج الصراع»، مضيفا «لا لعالم منقسم بين قوى متصارعة، نعم لعالم موحد بين شعوب وحضارات تحترم بعضها البعض»(٢٧).

وهكذا يتضح بشكل جلي أن البعد الديني في السياسة الخارجية للفاتيكان هو متغير فعال ويستطيع التأثير في العديد من الدول والفواعل الأخرى من غير الدول، وبإعتبار أن البابا هو الأب الروحي لجميع المسيحيين الكاثوليك في العالم، لذا فإنه يحظى بمكانة روحية كبيرة لدى أتباعه، فضلا عن الإحترام الذي تكنه له جميع الدول والشعوب وممثلوا الأديان السماوية الأخرى(٢٨).

ومن هذا المنطلق فإنه ولطبيعة الخصائص الفريدة التي يتمتع بها الكرسي الرسولي والتي إستعرضها البحث بالوصف والتحليل، وللطبيعة الشائكة والمعقدة للأزمات الدولية والتحديات العالمية في الوقت الحاضر ، فإن دور الكرسي الرسولي مرشح لمزيد من الحضور في حل هذه الأزمات الدولية، والمشاركة في تذليل العقبات الحاصلة بسبب

(24) Ibid, p5.

(25) Marian Sekerak and Karol Lovas, The Diplomacy of the Holy See and its Transformation in the Context of Relations with the United Nations, The Review of Faith & international Affairs,2022.

(26) Ricardo A. Crespo & Christina C. Gregory, The doctrine of mercy: moral authority, soft power, and the foreign policy of Pope Francis, resarchgate.net, 2019, P 15.

(٢٧) فاطمة شوقي، البابا فرانسيس يجدد دعوته للقاء بوتين، اليوم السابع، متاح على الرابط:

https://www.youm7.com accessed 2022/6/3

(٢٨) تخة لمياء، دور البعد الديني في السياسة الخارجية للدول نموذج دولة الفاتيكان، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، ٢٠١٧.

التحديات العالمية، مما يساهم في تكامل دوره مع أدوار الدول والفواعل الأخرى من غير الدول لتحقيق المزيد من الإستقرار في الساحة العالمية.

الخاتمة:

نظرا للميزة الفريدة التي تتمتع دولة الفاتيكان منذ أن إكتسبت وضعها القانوني صفة الدولة بموجب معاهدة لاتران عام ١٩٢٩، ولما يتمتع به الكرسي الرسولي من مزايا تؤهله للعب أدوار مؤثرة في الساحة العالمية عن طريق توظيف القوة الناعمة المستندة الى المقام الروحي السامي له في نفوس المؤمنين به في مختلف الأرجاء ، ومن خلال إستراتيجية بالغة التعقيد تتمازج فيها الأهداف الدينية بمساحات السياسة ضمن حدود محسوبة ودقيقة، ليتمخض عن هذه الدبلوماسية الإستثنائية وهذا الإنتشار الواسع معرفة دقيقة وواسعة بمختلف القضايا والأزمات والتحديات الدولية والعالمية، ويتم ذلك عبر المؤسسات التعليمية والتربوية والإجتماعية والدينية التي تكون تحت إشراف وإدارة الفاتيكان ومؤسساته المنتشرة في دول العالم، فضلا عن عمل السفراء البابويين الممثلين للكرسي الرسولي لدى دول العالم والمنظمات الدولية.

إن الخاصية الكاريزمية لشخصية البابا ، والمكانة السامية التي يتبوأها في نفوس أتباع الكنيسة ، وحكومات العالم ، ولدى الزعماء الدينيين لباقي الديانات السماوية ، فضلا عن الخطاب الحيادي والإنساني الذي يركز على إحترام الإنسان والدفاع عن حريته وأمنه، والدعوة المستمرة الى نبذ العنف والحروب وحق الشعوب في العيش بطمأنينة وسلام ، والشجاعة التي أبداها البابوات السابقين وصولا الى البابا «فرانسيس» في إعادة النظر بالكثير من المواقف السلبية السابقة للكنيسة والتي صدرت ربما عن بعض ممثلي الكنيسة والإعتذار عنها وعن الآلام التي سببتها للشعوب، كل ذلك يؤشر عن الطابع الجدي والفاعل للكرسي الرسولي للعب أدوار مهمة حاليا ومستقبلا في الساحة العالمية، وهذا ما ظهر من خلال العديد من الأزمات الدولية والتحديات العالمية التي كان الكرسي الرسولي له الدور الأبرز في حلها أو تحجيم آثارها.